القمع وجماليات النص الشعر البصري في القرنين الثّاني والثّالث الهجريين اختياراً

علي حسين نعمة
أ.د. عماد جغيم عويد
جامعة ميسان/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

المقدمة

في هذا البحث تتعدد المصطلحات الثقافية الجمالية، وصلتها بالقبح ،والقمع اللذين يفرضان دلالتيهما في مواجهة الشعراء للانساق الثقافية التي فرضتها السلطة وتوظيف جمالية النص بمضامين بعيدة عن قناعات السلطة،وأنساقها مما يضع هذه القبحيات الثقافية كالمجون والشذوذ والخمريات والتراتبية الاجتماعية في التصدي لمحرمات السلطة بطريقة خفية تتحدى ما تعارفت عليه الأنساق الثقافية العربية.حاول الشعراء توظيف القبح الجمالي لخدمة أغراضهم ورفع مسنوى المواجهة مع الممنوع والمحرم سالكين دروباً معتمة من الناحية الأخلاقية والسلوكية، فساروا في طريق التطرف الذي تغذيه مؤثرات قومية ودينية وأفكار متعددة تفرضها آلية التعدد القومي والديني الذي أمتدت في اتساع الدولة العربية الإسلامية فصارت صور القبح الفنية التي زانتها قرائح الشعراء جودة في الشكل وبراعة في المفردات تتوالى وتأخذ مكانتها وحضورها الأجتماعي والشعبي وصار الغلو والافراط في الأغراض الشعرية من أبرز وسائل الشعراء في التعامل مع الواقع السياسي وتجنب بطش السلطة والقمع الذي مارسته ذلك القمع الذي حاولت فيه السلطة ردع المعارضة وتثبيت محرماتها وثوابتها فما كان من الشعراء غير النزول للقاع الثقافي والوقوع في القبح الثقافي، وجرى توظيف الشكل الجمالي له بجودة المفردة، وحسن التصوير الفني .في هذا البحث كانت مصطلحات القمع، والثقافة، والقبح حاضرة في إبداعات الشعراء وتمكنهم من رسم لوحات آسرة ومثيرة للتعبير عن حنقهم وتصديهم للسلطة لذا سنركز على القبح الثقافي.

البحث

القبح– الثقافة ما العلاقة الرابطة بينهما وكيف تعبر الثقافة عن قبحها في مجال إنتاج النص الشعري فالقبح: ((ضد الحسن يكون في الصورة والفعل قبُح يقبح له قبحاً وقبوحاً وقباحاً وقباحة وقبوحة، والجمع: قِباح وقباحي والأنثى قبيحة والجمع: قبائح وقِباح قال الأزهري: هو نقيض الحسن عام في كل شيء))[1].القبح نقيض

الحسن بصورةٍ شاملةٍ وكاملةٍ، ومن معاني القبح: ((الشناعة في القول، والفعل، والصورة))[٢]، والقبح يشمل القول، والفعل البشري، والصورة التي ترسم، وتظهر الوجود البشري، والحيواني، وجميع أشكال، ومظاهر النبات، والجماد، والفنون التشكيلية الدالة عليه: ((القبح والقباحة: نقيض الحسن عام في كل شيء وقبحه الله: نحاه عن كل خير))[٣]، ويتخذ القبح في هذا التعريف اللغوي دلالة أخلاقية معنوية. القبح ليس القبيح في ظاهره بل في باطنه. القبيح من الله والمستبعد من الخير تمام الاستبعاد. القبح الحالة التي تثير النفس وتؤدي بها للنفور، والاشمئزاز، وهو صعب التحديد يمكن رؤيته في النشاز، وانتفاء التناغم بين الأقيسة، والألوان، وضياع التناسق، ومن الناحية الفنية يبرع الفنان في ابتكار الصور، وإثارة الإعجاب، هكذا يعطي للقبح جمالاً خلاف ما يرمز إليه، وما يثير النفس منه[٤]. القبح صعب تحديده؛ لأنه يحتاج للتدقيق، والتمحيص، والتأثر، والانفعال، ومعرفة تداخل الألوان، والألحان، والأقيسة، وضياع التناسق، والانسجام في الكائنات، والأشياء في الخلق، والسلوك، ودور الفنان وخاصةً الشاعر هو في قلب القبيح، وتسويقه؛ ليكون مقبولاً، ومرغوباً فيه[٥] يكاد القبح يتواجد في ما هو هزلي، ومقزز مشوه غير طبيعي عبثي مسرف في الخيال، والوهم يجمع بين الهزلي، والمرعب لكنه يمكن استخدامه في وظيفة التصحيح الواقعي لعالمٍ غريبٍ ومشوهٍ ومزعجٍ[٦]هذا من إبداع الفنان الشاعر الذي يهدف إلى تصوير العالم الغريب والمغترب، ويجعله مألوفاً من منظور آخر: نقل القبح من حالته المرفوضة لحالة القبول هو تحويل السخافات الإنسانية لتكون في أشكال القبح التي تتبلور في النشاز، والهزلي، والمرعب، والإسراف، والمغالاة، والتشويه[٧].فيما تكون وظائف القبح في التأثير النفسي عبر: ((تأكيد الجانب المظلم، والجانب الإيجابي في استقبالنا لسمة الهزل المضحك في القبح))[٨].ويشكل القبح ظاهرة أساسية في الثقافة هو جزء منها والثقافة متأتية من: ((ثقف: ثقف الشيء ثقفاً وثِقافاً وثُقُوفة: حذقه ورجل ثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذق فَهِم وأتبعوه فقالوا ثَقْفٌ لَقْفٌ وقال أبو زياد: رجل ثقف لقف رامٍ راوٍ. ابن السكيت: رجل ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به))[٩]، وفي هذه المعاني اللغوية نكتشف ما تعنيه كلمة ثقافة فهي تدل على: الحذق، والفهم، والإتقان، والرواية، والضبط: ((ثَقُفَ الرجل ثَقْفاً أي صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقْفٌ مثال: ضَخُمَ فهو ضَخْمٌ ومنه المثاقفةُ والثِّقَافُ: ما تُسَوَّى به الرماحُ))[١٠].هنا يكون لجذر (ثقف) دلالة الخفة، والتسوية فضلاً عن الحذق، فقد كانت

للثقافة في المنظور الاصطلاحي العديد من التعريفات من بينها هي: ((السمات المكتسبة والفكرية التي يتمتع بها مجتمع ما، وتشمل الفنون، والآداب، والتراث والعادات، والمعتقدات، وطرق المعيشة كما أنها تعني الحذق، والفطنة، وسرعة أخذ الشيء، واستيعابه، وتقويم ما هو معوج من القضايا، والظفر والإدراك، والتهذيب، والتأديب))[١١].هذا التعريف الذي أخترناه يشمل البناء الفوقي (المعنوي) من فنون، وآداب، وتراث، وعادات، وتقاليد، ومعتقدات، وطرق المعيشة فضلاً عن الجوانب الأخلاقية، والصفات الشخصية التي تميز مجتمع عن آخر،وفرد عن آخر.

القبح الثقافي يتجلى في صور شتى بعضها يتعلق بالتجاوز على المرأة حقوقاً وإنسانية والتقليل من شأنها والحط من قدرها، وفي التعدي على السود وإنزالهم دون مرتبة البشر وإضفاء صفات غير ملائمة بل تشوه وجودهم وتزري كرامتهم وتضعهم في منزلة غير آدمية لا تليق بالمساواة بين البشر، ولا تعاملهم بما وضعته الشرائع السماوية لهم من حسن الرعاية وتحريرهم من الرق، والعبودية،والاقتراب من السلطة وفقاً لقاعدة (الرغبة، والرهبة) التي حولت الكرم وهي فضيلة كريمة عند العرب لوسيلة تكسب واسترزاق، وغير ذلك من القبحيات التي سنطل عليها في متون الأشعار البصرية وهنا نسجل إن ليس كل الشعر من القبح الثقافي ففيه بعض الإنصاف، والرغبة في الإنسانية، والنظرة العادلة: ((أدى الشعردوراً مزدوجاً حيث توسل بجمالياته لتمرير قبحياته وتشعرنت الثقافة وصارت صوراً شعرية تحمل كل عيوب الشعر))[١٢].

القبحيات الثقافية التي تناولت المجون، والشذوذ الجنسي، والخمريات، والمرأة، والسود، والتقرب المفرط، والمغالي بصفات السلطان لم يسلم منها الشعراء الرسميون، وشعراء الهامش.كل واحد منهم كانت له عثراته في هذه المجالات وسأحاول التطرق للشعراء وهم يتبارون في التعبير عن القبح الثقافي. يقول الشاعر أبو نواس[١٣]:

ياليلةً بِتُّها أُسقَّاها ألهجَني طيبُها بذكراهـا
نأخذُها تارةً وتأخذُنـا موتورةً تقتضِي ونبداهـا
نغْلِبُهَا أوَّلاً وتغلِبُنـا فنحن فرسانُها وصُرعَاها
كؤوسُنا كالنجومِ طالعـةً بروجها منتهى نَداماها
يغبن فيها ويبتدِين لنـا إلى أكُفِّ السُّقاةِ مَحياها
تلتهب الكفُّ من تَلَهُّبِها وتحسرالعينُ أن تَقصَّاها
كأن نَاراً بها محرَّسـةٌ تَهابُها تارة وتغشَاهـا

نجد الشاعر يعاني ليلته بين السقاة، والخمر التي يغالي في أوصافها الندماء صرعى غائبون عن الوعي يتلظون بنيرانها، وعيونهم حسيرة كليلة لا تستطيع صدها غالبة عليهم الخمر. عندها وتر تطلبه منهم تصارعهم

فتصرعهم حيناً، ويصرعونها حيناً آخر. هذا الاستغراق الحسي ملك عقولهم، وحطم وجودهم، وأنهك قواهم. لقد بانت قدرة أبي نواس في: ((جعل المحرم مصدراً للذة، وقلب المبتذل نادراً وتصيير القبيح جميلاً بمختلف طرق التحويل التي أجراها))[١٤]. يواصل أبو نواس تقديم الخمر على الأطلال في تدوير للقبح الثقافي.يقول[١٥]:

أيا باكي الأطلالِ غيَّرها البِلَى بَكَيتَ بعينٍ ما تجِفُّ لها غـــربُ
أتنعتُ دَاراً قد عفَتْ وتغيَّرتْ فإني لما سَالمتَ من نعِتها حـــربُ
وندمانِ صَدقٍ باكرَ الراحَ سُحرةً فأضحى وما منه اللسانُ ولا القلـبُ
تَأنَّيتُهُ كيما يفيقَ فلـم يُفِقْ إلى أن رأيت الشَّمسَ قد حَازَها الغربُ
فقامَ يَخالُ الشَّمسَ لَّمـا ترجَّلت قنادي الصَّبوح وهي قد كَرُبتْ تخبو

يحاول الشاعر التملص من سلطة الرقيب الثقافي باستبدال المقدمة الطللية بمقدمات خمرية يرد بها على ما يتصوره قمعاً ثقافياً عبر الاشتراطات النقدية للسير على سنة القديم. العلاقة بين القمع، والقبح علاقة عدائية واستفزازية، ومتحدية لمحرمات السلطة الدينية والثقافية والخروج من عبائتها، وضرب توابتها الأخلاقية. لم يكن أبو نواس فريداً من بين الشعراء لكنه الأبرز فيهم ففي أبياته يشير لمجلس خمري من (ندمان صدق) يقضون وقتهم بشرب (الراح) لا يدرون نهارهم، ولا ليلهم ساهين عن حياتهم بسكرهم، وملذاتهم. نجد محمد بن يسير الرياشي (ت٢١٠هـ) يقول[١٦]:

شَارُبْتُ قَومْاً لمْ أُطِقُ شُرْبَهُـمْ يَغرَقُ في بَحْرِهُمْ بَحْـــرِي
لمَّا تَجارَيَنْا إلـى غَايَـةٍ قَصَّرَ عن صَبْرِهـم صَبْرِي
خَرجْتُ من عندهم مُثخَنــاً يَدْفَعُني الجُدْرُ إلـى الجُدْرِ
مُقبَح المشْي كَسِيرَ الخُطَــا تَقْصُرُّ عِنْدَ الجِدِّ عَنْ سَيْرِي
فلستُ أَنسى مَا تَجَشَّمْتُ مِنْ كَدْحٍ ومِنْ جرحٍ ومِنْ أثرِ
وشَقِّ ثَوبٍ وتَوَى آخَــرٍ وسقْطَةٍ بَانَ بها ظُفْرِي

انغماس متلف في بحر الخمر لا يعلم طريقه ولا الكدمات التي تعرض لها. خطواته متعثرة وثيابه ممزقة، وهو تطرف خمري المعاند للمؤسسة الدينية التي تعارض هذا المسلك:((لقد سيطر حب الخمرة على تصرفات أكثر الناس وترك عشقها آثاره في عقليتهم ومستوى تصرفاتهم))[١٧]، فقول الأشجع السلمي لا يبتعد عن سواه من الشعراء[١٨]:

ولقد طَعنتُ الليلَ في أَعجازِهِ بالكأْسِ بين غَطارفٍ كـالأَنْجُمِ
يَتمَايَلُونَ عن النَّعيمِ كأنَّهُمُ قُضُبٌ مِنْ الهِنديّ لم تتثلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَرِيرِ يزيدُها طِيباً ويَغْشِمُها إذا لـم تغْشِمِ
والليلُ مُنْتَقِبٌ بفَضْل رِدائِـهِ قد كَادَ يحْسَر عن أَغرَّ أَرثَمِ
فإذا أدارَتْها الأَكُفُّ رأَيتَهـا تَثْني الفصيحَ إلى لسانِ الأعجَمِ
وعلى بَنانِ مُديرهـا عِقْيانِـةٌ من سَكْبها وعلى فَضولِ المِعْصَمِ
تَغْلي إذا ما الشِّعْريَـانِ تَلَظَّيـاً صيفاً وتَسْكُنُ في طَلوعِ المـرزَمِ
ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّهـا بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأَيِّمِ
ولها سكون في الإناء وخلفهـا شغب يطوح بالكمي المعلم
تعطي على الظلم الفتي بقيادها قسراً وتظلمه إذا لم يظلمِ

يصف السلمي مجلس الخمر بالنعيم حيث يدير الساقي الأغر كؤوسه بين (الغطارف) مترعة بالخمر(البكر) التي تقودهم للظلم ظلم النفس عندما يسكر، ويفقد الحس، والوعي، وظلم غيره بالهرب من الحياة ومتطلباتها. نعيم خيالي لا أثر له في أرض الواقع يشير علي المقري للتأثير الفارسي في نشر شرب الخمر ولا يستثني الخلفاء من تعاطيها بالرغم من الخلاف الفقهي[١٩]. قال عبد الصمد بن المعذل[٢٠]:

قد نَزلنا بروضةٍ وغديرٍ وهجرْنا القَصرَ المُنيفَ المُشيدَا
بعريشٍ تَرَى من الزَّادِ فيه زُكْرَتَي خَمرةً وصقراً صيودا
وغريرينِ يُطربان الندامى كلما قلتُ أبديا وأعيدَا
غنياني يُغَنياني بلحـنٍ سلس الرجعِ يصدعُ الجَلمدَا

الشاعر يصف بستاناً تتخلله الأشجار الكثيفة، والغناء يصدح في جنباته، وتتبادل كؤوس الخمر بين الندامى الذين استبد بهم الطرب بلحنه الذي يصدع الصخر.

ارتبط الخمر بالجنس ارتباطاً وثيقاً حتى اصبحا مقترنين في المجالس والخلوات إذ كان الغزل بالمرأة حسياً، أو عفيفاً غرضاً شعرياً لازماً للشعر العربي منذ القدم فإن الغزل الشاذ ينبغي التوقف عنده مثلما اندفع بعض الشعراء للقبح في العبث الخمري لم يتورعوا عن الغزل الشاذ الذي مثل صورة من صور القبح الثقافي السافرة حيث تعرضت منظومة الرجولة العربية للأذى في الصميم من خلال الانغمار الوقح في التحويل النمطي من الذكورة للأنوثة. من قيم الرجولة لسمات التخنث، والميوعة يقول الدكتور يوسف حسين بكار: ((الميل إلى الغلمان، أو الارتكاس أو الجنسية المثلية كما يسميها علماء النفس ظاهرة قديمة عرفها غير العرب منذ أقدم

العصور))[٢١]، وهذه الظاهرة القبحية المخالفة للمنطق غير الأخلاقية المنافية لسمات الوجود الحق القائم على الثنائية ظاهرة غير عربية وجدت في الحضارات القديمة إذا أستثنينا(قوم لوط) الذين تعرضوا للعقاب الإلهي على فعلتهم غير السوية بتفضيل اتيان الذكور من دون النساء! لم يعرف الشعر العربي ذلك الأمر إلا في القرن الثاني الهجري، وما بعده يمكن القول إن الشرائح المنخرطة في هذه الميول الشاذة تعرف بالمرتكسين الذين أقتصر موضوعهم الجنسي على أفراد من الجنس نفسه وبعضهم ثنائي الميول لجنسه ولغيره وبعضهم الآخر يصعب عليهم تلبية حاجاتهم الطبيعية فيلجأون عرضياً لجنسهم ذاته[٢٢]. قد كثرت الجواري، والغلمان في القرنين (موضوع البحث) مما أدى ببعض الشعراء للتعبير عن ميولهم الثنائية. بالغوا مبالغةً لاهوادة فيها في التحويل الجنسي، فأحلوا صفات الأنوثة بأسرها للذكور من الغلمان وسلبوا محاسن النساء، وألبسوها لمعشوقيهم الجدد في مخالفة دينية، وطبيعية لم يراعوا فيها النسق العربي الفحولي ولم يهتموا بمحاذير نشر الخلاعة، والتخنث بين الأوساط العربية. قال الشاعر أبو نواس[٢٣]:

يا أبا القَاسِمِ قلبي بكَ صَبٌّ مُستهـــامُ
بأبي مركبُكَ الصَّعْـ ـبُ الذي ليس يُـــرام
سرجُهُ كالدُّرِ لَونـاً نَاعِمُ اللمَسِ رُكـــامُ
وبدادان يميـــلا ن إذا اشتد الخِـــرامُ
وعِذارٍ زَانهُ مِنْ زَغَبِ الشَّعر لِجـــامُ
طِبْتَ فالعِفَّةُ عن تقـ ـبيل خديك حـرامُ
أبداً يَمْشِقُ فـــي ميـ ـمك من جسمي لامُ
فأبِنْ لـــي أكعَابٌ أنتَ حَقاً أم غـلامُ
أنت أهنأ النـــاس أرد افاً ووجهاً والســلامُ

الباحث يحتار في اختيار نماذج الشعر الحسي الذكوري. لابد من التأني، والحذر الكثير منها فهي ملغومة بفحش القول وسخافة الكلم لذا لن نستطرد فيها إلا ما يؤكد القبح الذي هو جمال على صعيد الوظيفة، والقيمة لذا يتم التمعن في شكله وجوهره أي ببعديه المادي والأخلاقي ضمن المنظومة الاجتماعية والسلوكية[٢٤]الشاعر يذكر معشوقاً لايفرق عن المرأة من نعومة وصبابة ودلال مقوماته الجسدية أنثوية يعدد صفاته الجذابة[٢٥].

قال أبان عبد الحميد اللاحقي(ت٢٠٠هـ)[٢٦]:

ليتني والجاهلُ المغـ روزُ من غَزٍّ بُلَيْـتْ
نِلْتُ مِمَّنْ لا أُسُمـي وهو جاري بَيتَ بَيْتْ
قبلةٌ تنعشُ ميتـاً أنني حيّ كميـتْ
لا اسميّه ولكـن هو في كَيتَ وكَيتْ
نتساقى الرَّيقَ بعد الشْـ شُرْبِ من راحٍ كُمَيتْ

ويقول محمد بن حازم الباهلي(ت ٢١٥هـ)[٢٧] :

دببتُ أمشي على الكَفينِ ألمسهُ كمشي مسترقٍ للسمعِ أسرارا
فمرَّ يمشقُ في قرطاسهِ قلمي والليلُ مُلقٍ على الآفاقِ أستارا
فقالَ لما أنجلى من عينهِ وسنٌ وقد رَأى تكةً حُلتْ وأزارا
يا رَاقدَ الليلِ مسروراً بأوَّلهِ أن الحَوادثَ قد يطرقنَ أسحارا
لا تفرحنَّ بليلٍ طَابَ أوَّلهُ فرُبَّ آخر ليلٍ أججَ النارا

نتعفف من ذكر تفاصيل خلوة الشاعر وهي واضحة المعاني والغايات ونختم ولانستزيد من هذا القبح بأبي الشبل البرجمي(ت ٢٣٥هـ) [٢٨]:

بِأَبِي رِيْمٌ رَمَـى قَلْـ ـبِي بأَلْحَاظٍ مِـرَاضِ
وحَمَى عَينْـيَّ أَنْ تَلَّـ ـتَذ طِيْبَ الاغْتِمَاضِ
كُلَّمَا رُمْتُ انْبِسَاطـاً كَفَّ بَسْطِـي بانْقِبَاضِ
أَوْ تَعَالى أَملِـي فِيْـ ـهِ رَمَاهُ بانْخِفَـاضِ
فَمَتَى يَنْتَصِفُ المَظْلُـ ـومُ والظَّالِمُ قَاضِـي

الريم الصفة الأنثوية الجمالية جعلها للغلام، ويستمر في تعداد أشباه هذه الصفات. تصوير القبح لدى الفنان الناجح يبعث لذة في نفوس السامعين لقدرته على استلاله امكانات التصوير الفني الذي لا يكسب جماليته من موضوعاته، أو أجناسه، أو نبله إنما تكسب الخلود بجودتها الفنية غير آبه بكون الموضوعات تافهة، أم نبيلة ربما تكون الموضوعات المطروقة قبيحة لكنها من الناحية الفنية جيدة[٢٩]. الفن في تجسيده القبيح لا يكون قبيحاً بل يكتنز الجمال في الأسلوب، والتعبير، والمظاهر المرسومة[٣٠]. القبح الثقافي هنا حددناه بالمجون، والشذوذ،

لكنه متسع اتساعة كبيرة بحيث يشمل مساحة واسعة من التنافر، وفقدان التوازن، والانسجام بين العناصر المكونة للوعي الشعري[٣١]. استخدم بعض الشعراء القبح الثقافي، والجمالي للتعبير عن تحديهم السافر للمؤسسة الدينية في أبعادها الأخلاقيه، وسخريتهم الاجتماعية، وشعورهم بالقمع السلطوي الشديد غير أنهم تحولوا لقامعين للفئات المنبوذة بطريقة (الإسقاط) التي هي أسلوب نفسي دفاعي لتبرير التصرفات وتتلخص في ميل الشخص لتحويل خواطره وهواجسه المكبوتة من داخله لخارج نفسه للهروب من الاعتراف بها وتخلياً عن المسؤولية[٣٢].الذي تفننوا بها ونالوا من النساء، والسود، وتلميع صورة السلطة بالمبالغة، والإفراط في تدبيج الصفات غير المنطقية، وغير المقبولة. مثل ما نجده في النظرة الدونية لذوي البشرة السوداء وغيرهم الذي يتجلى بقول الشاعر بشار بن برد (ت ١٦٧هـ)[٣٣]:

نبيطٌ وأعلاجٌ وخورٌ تجمعوا شرارُ عباد الله في كُلِّ غَائِطِ

مجموعات بشرية مختلفة الأجناس قابلة للتمرد، تسلك طريق الشر. لا تعدو أن تكون فضلات بشرية. هذه صورة نمطية رسمها المخيال العربي. عبّر عنها الشعراء بالرغم من وجود بعض الاختراقات الثقافية التي حاولت إنصاف السود وغيرهم، فقد ينظر إلى العمل الأدبي أنه تعبير عن روح المؤلف، أو الشاعر، وتكوينه النفسي، وموقفه الواقعي، ورؤيته الفردية للعالم لكن يمكن النظر إليه على أنه تعبير عن فكرة[٣٤] عن سياق ثقافي ليس من باب التعبير الذاتي عن النفس فالشاعر أبان اللاحقي يقول في ذم السود[٣٥]:

مَاذَا رَأتْ فِيـــهِ وماذا رَجَتْ؟ وَهِيَ مِنَ النَّسْوانِ مَختَارهْ
أسَودُ كالسّفُّودِ يَنْسَى لَنا الـ تَّنُّورَ بَلْ مِحـــــرَاكُ قَيّارهْ

الشاعر يعلي المرأة على الأسود في تراتبية معهودة عرفها النسق الثقافي العربي هي (مختارة) لا يليق بها الأسود الذي يشبه لونه القير بل أقرب لسواد التنور. يستمر الشاعر اللاحقي بفضح الأسود بقوله[٣٦]:

يقولُ العَبدُ في الكُنْدُو ج يا مَولاي ذا أحَلى
فما أدري وقد غَابَـــا بهِ أيهمـــا الأعلى
أكان العَبدُ من فَـوقَ أم الفَــوقَ هو المَولَى
لقد عَمهُمْا اللعَـــنُ فأولى لهُمْـــا أولَى

يتهم الشاعر (العبد) بأنه شاذ جنسياً وقد غيبهما المخزن (الكندوج) وهي كلمة غير عربية لم يكن المولى وفقاً لثلاثية تاريخية يمثل فيها المولى، والمرأة، والعبد عناوين سافرة، وساخرة للقبح الثقافي. من لا يحصل على

كماله اللائق يمكن تسميته بالقبيح القبح هو عدم الكمال[٣٧]. العبد في نظر الشاعر شاذ، وملعون. هو مع المولى حقت عليهما اللعنة الأبدية. كأن سواهم غير مبتلين بهذا الداء العضال ذلك الشذوذ غير الأخلاقي.ونجد الحسين بن الضحاك(ت٢٥٠هـ) يقول[٣٨]:

زائرةٌ زَارتْ علـــــــى غَفلةٍ يا حبذا الزَّوْرةُ والزائـــــرهْ
فلم أَزَلْ أَخدَعُـــــها لَيلتَي خَديعةَ السَّاحِرِ للسَّاحـــرِهْ
حتى إذا ما أذعنـــتْ بالرِّضَا وأَنعَمَتْ دَارتْ بها الدائـــرةْ
بَتُ إلى الصَّبـــحِ بها سَاهِراً وباتتْ الجَوزاءُ بي سَاهـــرهْ
أفعـــلُ ما شئتُ بـها ليلتي وملءُ عيني نعمة ظاهِـــرهْ

(الزائرة) المخادعة الساحرة التي خدعها الساحر الخداع. التفوق الذكوري واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. الساحر تغلب على الساحرة. المخادع تنعم بالمخادعة في سياق الخديعة التي أنجرت لها المرأة التي تقل في تساوي الصفة الأخلاقية عن قرينها، فتقع في حبائله، وألاعيبه عبث حسين بن الضحاك بمغنية فصاحت عليه، واستخفت به فقال[٣٩] :

لَها في وجهِها عُكنُ وثُلْثَا وجهِهـــا ذَقَنُ
وأسنانٌ كريشِ البَـــ ـطّ بين أصولِها عَفَنُ

ضحك الحاضرون، وبكت المغنية حتى قيل عَميتْ وحصل هذان البيتان على قبول واسع من الناس فكسد عملها، وهربت لمدينة (سر من رأى)[٤٠]. الشاعر يرسم صورة ساخرة للمرأة السمينة ذات (عكن). وجهها عبارة عن ذقن(لحية). يصور أسنانها بأنها ريش البط العفن! هنا يبلغ النسق الثقافي ذروته في الحط من شأن المرأة، وتشويه صورتها حتى اضطرت للهروب إلى جهة بعيدة لم يعرف لها خبر. يوجد من حاول الخرق الثقافي، والعبور على أنساقة المعلنة والمضمرة، ولكن لم يكن ذلك عاماً وشاملاً قال أبو الشمقمق (ت ١٨٠هـ)[٤١] :

ولَيْسَ على بَابِ بن إدْرَيسَ حاجبٌ ولَيْسَ على بَابِ بن إدْرَيسِ من قُفْلِ
طَرِبْـــتُ إلى مَعْـــرُوفِهِ فَـــطَلَبْتُهُ كما طَرِبَتْ زَنْجُ الحَـــجْازِ إلى الطَّبْلِ

في متناثرات شعراء البصرة عن السود نجد تصريحاً غير مخفي عن تشبيه كرم الممدوح بالزنج الذين يطربون، ويرقصون ليس من فرحٍ يعبرون عن مشاعره بل دلالة نسقية عن خفة عقولهم، وشدة طربهم للسماع

الذي تتحرك أجسادهم على نغمات إيقاعه صفة ذم، وليس سمة تدل على سرور، وانشراح يطلق الأقدام للرقص عند طرقات الطبول. يواصل أبو الشمقمق (ت١٨٠هـ) تعريضه بالسود عند هجاء أحد البخلاء حيث يقول(٤٢):

لما سَأَلْتُكَ شَيْئَاً أَبْدَلتَ رُشْداً بِغَــيٍّ
مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ هذا أنْ لا تَجُودَ بِشَـيءٍ
أمَا مَــرَرْتَ بِعَبْدٍ لِعَبْدِ حــَاتِمِ طَــيٍّ

الشاعر يهجو بخيلاً يتصف بصفةٍ مذمومةٍ لا يقدرها العربي، ولا يأبه بها، ويزري على من تمسك بها. لا مودة مع الشح، وأهله. التقدير للكرام من الماضين، والحاضرين. لذلك يذكر كريم العرب حاتم الطائي، ويعرض بالسود، فيشير لبخلهم لكن لقربهم منه تعلموا الجود بالرغم من مدح (عبيد) الطائي إلا انه يذمهم. لو تركوا لوحدهم لكان البخل ديدنهم وقِراهم!!! محمد بن وهيب الحميري (ت٢٢٥هـ) من بين أبيات له يقول(٤٣):

ولا مُصَاهَرَةُ الحُبشانِ من شِيَمي ولا تَرى لَونَ وَجْهَي غَرْبَيْباً

يرفض الشاعر مصاهرة السود، وينكر أن تكون هذه الخصلة من شيمه! يستهجن تحول لونه للسواد (الغربيب). لهذا سمى العرب الطائر الأسود غراباً لسواد ريشه قال يزيد المهلبي*(ت٢٥٩هـ)(٤٤):

إنَّ العَبْيَدَ إذا أَذْلَلْتَهُمْ صَلــُحُوا على الهَوانِ وإنْ أَكْرَمَتَهُمْ فَسدُوا
ما عَنْدَ عَبْدٍ لمن رَجَّاهُ مُحْتَمَلٌ ولا على العَبْدِ عَنْدَ الحَرْبِ مُعْتَمَدُ
فأَجْعَلْ عَبْيَدَكَ أَوتَاداً مُشَمَّخَةً لا يَثْبَتُ البَيْتُ حتَّى يُقرعَ الوتَدُ

كلام الشاعر واضح بين فالعبد الذليل صالح؛ لأنه تعلم على الهوان. يحذر من إكرام العبد؛ لأنه سيؤدي لإفساده، هذا منطق الدونية، والنقص الذي يحول الإنسان فيه لأحط المخلوقات التي يتعامل بها السادة لمن وقعوا في أيديهم من الناس الذين ذنبهم الوحيد حظهم العاثر الذي رماهم في ربقة العبودية. هم غير صالحين في الحرب لا ينبغي الاعتماد عليهم. لا رجاء ينتظر منهم. لا احتمال النصرة منهم. ينصح الشاعر السادة جعل عبيدهم أوتاداً مشمخةً (مرفوعة) مقروعة (مضروبة). هذه النصيحة تشير للنسق الثقافي المتحكم بالشاعر حيث يحل الضرب، والمهانة محل الود، والإنسانية لم يقتصر القبح الثقافي على الحط من مكانة المرأة، والإزراء بها وتمثيل الصفات السيئة بها بل صورت مخيلة الشعراء صوراً فريدة كصورة مصلوب كما ذكرها يزيد المهلبي(٤٥):

قَامَ ولمَّا يَستَــعنْ بسَاقِهِ آلفَ مَثواهُ على فَراقِهِ

كَأنَّهُ في الشَّبْحِ من وثَاقِهِ رأى حَبْيَباً هَمَّ باعْتَنْاقِهِ

صورة لمصلوب حاول الشاعر رسمها بطريقةٍ جماليةٍ تبين القبح الثقافي لكنها تجمل المصلوب الذي صوره يعانق حبيباً عندما وثقت يديه، ووضع على خشبة الصلب، ويستخدم مفردات الألفة، والفراق، والوثاق، والاعتناق ليعطي لوناً آخر لمقام المصلوب وهو اعتراض مضمر لفعل السلطة القامعة التي مثلت بالجثث عبر صلبها. قال عبد الصمد بن المعذل (ت٢٤٠هـ) في أعور عشق عوراء[٤٦]:

هي عَــورَاءُ باليَـمْيَنِ وهذا أَعْورُ باليَسْارْ وَافَــقَ شَنَّا

بين شَخْصَيْهُمْا ضَرْيَرٌ إذا ما قَعـدَتْ عن شَمْالِـهِ تَتْغَنْى

نجد صورة (أعور) و(عوراء) أحبا بعضهما. قلب الشاعر هذا الحب لسخرية عندما وضع الأعمى بينهما لتزداد صورة القبح الثقافي قتامة، وسوداوية، وهزلية في الوقت عينه.

في التقرب للسلطان نرى المبالغة، والإفراط، والغلو في مديحه، وإعلاء مرتبته ليتماهى مع الذات الإلهية! في تلك الصفات، وهذا التماهي يتجلى نوع من القبح الثقافي يمكن النظر إليه على أنه يحوي سماجةً، ودمامةً لا ينبغي المرور عليها بسهولةٍ ولا مبالاة: ((اخترعت الثقافة الرغبة والرهبة ليكونا أساساً إبداعياً فهما سببللإبداع أولاً وهما سبب للتميز الإبداعي ثانياً والشاعر الذي لا يلتزم بشرطي الرغبة والرهبة لا يكون فحلاً وسيظل ناقصاً))[٤٧]. صار الغلو في صفات الخليفة يخضع لهاتين القاعدتين الرغبة في النوال، أو الرهبة من العقاب لكنه أيضاً يصور سعي الشاعر لنسج صورة مثالية عن السلطان الذي لديه قدرة غير طبيعية في الحياة، والموت . في مغالبة سنن الطبيعة القهرية. في محاولة الذوبان في الذات الإلهية التي ليس مثلها أحد.

سنرى نماذج لهذا القبح الثقافي في أبيات الشعراء الذين طرقوا باب كل جديد ودخلوا في معاني كل فريد الشاعر بشار بن برد يمدح الخليفة المهدي[٤٨]:

كَأنَّما جِئتُــهُ أبشِّرُهُ ولم أجيءْ رَاغِباً ومُحتِلبا

يُزِّينُ المَنبرَ الأشمَّ بعطفيهِ وأقوَالهِ إذَا خَطَبَــا

تُشَمُّ نَعْلَاهُ فــي النَدِي كما يُشَمُّ مَاءُ الرَّيحانِ مُنهَبَا

يصف الشاعر الخليفة بأنه يأتي طالباً فيستقبله مبشراً ويزين المنبر بأقواله وخطبه بل يصل به الوصف لنعال الخليفة الذي يفوح عطراً. في قصيدةٍ أخرى يستكشف خبايا الخليفة الذي فاق الأولين، والآخرين فيقول[٤٩] :

إذا غَدَا الْمَهْدِيِّ في جُنْــدِهِ أو رَاحَ في آلِ الرَّسُولِ الْغِضَابْ

بَدَا لَكَ الْمَعْرُوفُ في وَجْهِــهِ كَالظَّلْم يَجْرِي في الثَّنَايَا الْعذابْ

يغدو الخليفة في جند من (آل الرسول) يبدو المعروف في وجهه كما يجري (الظلم) لمعان الثغر وبريقه بين أنصاره يختلف عن الشباب، والكهول مميز بفتوته. فريد في قوته.

سلم الخاسر (ت ١٨٦هـ) لا يقل في مدائحه عن سواه في الغلو، والمبالغة عند ذكر الخلفاء ومناقبهم[٥٠]:

يَمَّمْتُ مُوسَى الإِمَامَ مُرْتَغِبَاً أَرْجُو نَدَاهُ والخَيْرُ مُطَّلَــبُ
فَرْعُ قُرَيْــشٍ عِزّاً وَمَكْرُمَـةً وَأَعْظَمُ النَّاسِ حِيْنَ يَنْتَسِبُ
لَوَلَا هُدَاكُمْ وَفَضْـلُ أَوَّلِكُــمْ لَمْ تَدْرِ ما أَصْلُ دِينِها العَرَبُ

يقصد الشاعر الخليفة كما يقصد الحجاج الكعبة المشرفة. بغيته الكرم أعز مطلباً يسعى إليه، ثم يتناول نسبه، وحسبه. أعظم نسباً، وأشرف فرعاً في قريش. الهداية التي عرفها العرب، ودينها الذي تعتقد كان من فضل أيادي العباسيين لكنه يشير إلى النبي محمد (ص) من دون أن يسميه؛ ليخلط السامع، والقارئ بين جدهم العباس بن عبد المطلب، والنبي الكريم، وقال سلم الخاسر في الخليفة المهدي[٥١]:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنْ السَّمْاءِ خِلَافَةٌ دَفَعَتْ إِلَيْكَ زِمَامَها وَقِيَادَها

يشبه الشاعر الخلافة بوحي النبوة ليست أرضية بل سماوية. بأمر الله الذي سلمه زمامها، وقيادها. لم تسلم المقابر من التنافس حول مثوى الخليفة فيقول في هذا الصدد سلم الخاسر[٥٢] :

بِمَوْتِ أَمِيرِ المُؤْمِنِيــنَ مُحَمَّـدٍ زَها المَوْتُ واخْتالَتْ عَلَيْهِ المَقْابِرُ
رَأَيْتُ المَنْايَـا يَفْتَــخِرْنَ بِمَوْتِه كَأَنَّ المَنْايَـــــا تَبْتَغِي مَنْ تُفاخِرُ
فَلَوْ بَكَتِ الأَيَّــامُ ميتاً بَكَتْ لَهُ سَوالِفُها والَبَاقِيْـــــاتُ الغَوابِـرُ
وَما النَّاسُ إلاّ لِلفَناءِ مَصِيرُهُمْ لِكُلِّ امْرِئ مِنْ يَوْمِـــــهِ ما يُحاذِرُ

في غرابة لا غرابة بعدها يظهر القبح الثقافي الخارج عن المعقول فالموت يزهو بموت الخليفة، والمنايا تفتخر بقدومه، وتفاخر من يبتغي المفاخرة. الأيام تبكي عليه! لو استطاعت البكاء، والجود بالدموع، وماضيها، وحوادثها الغابرة، وتقلباتها تشاركها المصاب. يردد الشاعر كلمة الموت بصيغ متعددة بموت، وزها الموت، وميتاً، والفناء ويكرر المنايا مرتين دلالة على إن الميت الجليل يتحدى القدر. موته لا يشبه موت الآخرين. يختم بحكمه بأن الناس مصيرهم الموت. لا ينفعهم الحذر إذا جاء أجلهم ((كون الشعر متعالياً على شروط الواقع، والمنطق، وصار السلوك النسقي كله متعالياً على شروط الواقع، والمنطق))[٥٣]. لا يستغرب المطلع على هذا النمط من الشعر ما وصل إليه من غلو، وإفراط فيه لحد الفجاجة، والسماجة، وبعده عن الواقع والمنطق

((الذين نظموا في فن المديح هم كل الشعراء تقريباً، فأكثروا منه إكثاراً لم يكن للعرب به عهد من قبل، وألتفوا حول الملوك، وحول الأمراء، والعظماء يستدرون أكفهم، ويستغلون ميولهم، ويستجدون منهم العطف والعطاء))[٥٤]. بعض الشعراء حولوا شعرهم لبضاعةٍ تجاريةٍ يستغلونها في سوق السلطة السياسية التي أستهوتها الصفات المذكورة، والألقاب الفخمة، والمميزات التي يتفرد بها الحكام الذين وضعتهم العناية الإلهية في سدة السلطة.قال محمد بن وهيب الحميري (ت ٢٢٥هـ) مادحاً المأمون[٥٥] :

وَبَدْا الصَّبْـــاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَلْيَفَةِ حَيْنَ يُمْتَدَحُ
أَنْتَ الذي بَكَ يَنْقَضِي فَرَجاً ضِيْقُ البَـــلَادِ وَيَنْفَسْحُ
نَشَرَتْ بَكَ الدُّنْيَا مَحَاسِنَهـا وَتَزْيَّنَتْ بِصَفَاتِـكَ المِدَحُ
وَكَأَنَّ مَا قَدْ غَابَ عَنْكَ لَـهُ بِإِزَاءِ طَرْفِـكَ عَارِضَاً شَبَحُ
وإذا سَلِمَتَ فَكَلُّ حَـادِثَـةٍ جَلَلٌ فلا بُـــؤْسُ ولا تَرَحُ

يشبه الشاعر (غرة) الصباح بوجه الخليفة عند مدحه. التشبيه المقلوب الذي يقلب المشبه مشبهاً به وإذا ضاقت البلاد، وعم الضيق العباد. الفرج مرهون بسيد البلاط وصفاته انتشرت في الدنيا، وزينت المدائح بها. لم يعد يغيب عنه شيئاً. السلامة أولاً لمقام الخليفة. ما يهم الناس في الأفراح والأتراح سوى السلامة الشخصية فما عداها لا يقارن بها إذا تعرض لمكروه، فالعماني الراجز* (ت نحو ٢٢٨هـ) يختار كلمته في الخليفة المهدي فيقول[٥٦]:

الحَمْدُ للهِ الـــــذي بِحَمْدِهِ مَنَّ علـــى عَبْادِهِ بِعَبْدِهِ
مَهْدِيِّنَا الهَادِي الذي بِرُشْدِهِ أَصْبَحَ بين غَوْرِهِ وَنَجْـدِهِ
وَكَلُّ حَرٍّ يَرْتَجِي مَـنْ رِفْدِهِ فَضْلَ الذي فَضَّلَهُ بِمَجْدِهِ

يحمد العماني البصري الله لمنه على العباد بالخليفة الذي وصفه بالمهدي الهادي الراشد الذي عمت فضائله النجود، والأغوار. أصبح الأحرار يتمنون (رفده) أي كرمه قد حاز الفضل والمجد، وإن الفضائل الأخلاقية الاجتماعية تظهر من خلال الاحتكاك بالمجتمع، وتكشف عن مصداقيتها في الواقع؛ لأن الاختلاط بين الناس هو المحك الذي تظهر به الفضيلة، والرذيلة[٥٧]. لقد كانت السلطة نخبوية. لم تكن شعبية. العطاء والمنح، والهبات أقتصرت على المحيطين بالقصر، والشعراء الذين يلوذون به. كما قال أشجع السلمي[٥٨]:

أَبْلِغْ أَمْيَرَ المَؤمَنَيْـــنَ رَسَالَةً لها عَنَقٌ بين الرَّواةِ فَسِيْحُ

بأَنَّ لَسْانَ الشَّعْرِ يُنْطِقُهُ النَّدْى ويَخَرْسُهُ الإبْطَاءُ وهو فَصِيْحُ

يوضح الشاعر السلمي نمط العلاقة الرابطة بين السلطة والشعراء برسالته الشعرية التي وضع لها مقابلات بين الشعر، والندى، والخرس، والإبطاء، الشعر سريع في انتشاره كسير الناقة السريع (عنق). لابد أن تفهم الرسالة، وتعرف السلطة فحواها، وتسارع لتلبية مقصدها. أنشد أشجع السلمي(ت٢٠٨هـ) في مجلس الخليفة الرشيد يوم عيد فقال[٥٩]:

لازَلْتَ تَنْشُرُ أَعَيْادَاً وَتَطْوِيها تَمْضِي بها لَكَ أَيّامٌ وَتَثْنِيْهـــا
مَسْتَقْبِلاً بَهْجَةَ الدُّنْيَا وَلَذَّتَها أَيّامُـــها لَكَ نَظْمٌ فـي لَيْالِيْها
العَيْدُ وَالعَيْدُ والأَيّـــامُ بَيْنَهُمْا مَوصُولَةٌ لَكَ لا تُفْنَـى وَتُفْنَيْها
ولا تَقْضَّتْ بِكَ الدَّنْيَا ولا بَرْحَتْ يَطْوِي لَكَ الدَّهْرُ أَيّامَاً وَتَطْوِيها
ولِيْهَنَكَ الفَتْـحُ وَالأَيّامُ مَقْبَلَـةٌ إليْكَ والنَّصْرُ مَـعْقُودَاً نَواصِيهـا

الخليفة ينشر البهجة، والأعياد. يطوي الأيام، ويثنيها. في قبضة يديه، ورهن إشارته. الدنيا مقبلة عليه. تنظمها الأيام، والليالي. يتطرق الشاعر للعيد المستمر بين عيد، وعيد الذي لا يفنى، وتفني لياليه، وأيامه. يدعو الشاعر بدوام الدنيا، والدهر لا يغادران أعياد الخليفة، ولا يغادرهما موصولة بوجوده مرهونة ببقائه مرتبطة بسعادته، وسروره. يهنأ بالنصر المعقود. الفتح موجود مادام الخليفة ساهراً عليه، وراغباً فيه يقتضي التفريق بين صنفين من هذا الشعر: صنف حقيقي غرضه الإقناع والاستدلال وصنف غير حقيقي مجاز يبنيه الشاعر، ويصنعه في صورةٍ فاتنةٍ وساحرةٍ يهدف فيه للنمذجة المثالية[٦٠]. هو ما اصطلحنا عليه بالقبح الثقافي. يحاول أشجع السلمي الدفاع عن حجية الخلافة القيمية كما دافع شعراء آخرون عنها في حجاجهم حول الوراثة والغلبة فيقول[٦١]:

مَـــلْكٌ أَبُوهُ وَأَمَهُ مِنْ نَبْعَةٍ مِنْها سَـــرْاجُ الأُمَةِ الوهَـــاجُ
شَرِبَا بِمَكْةَ في رُبَا بَطْحَائِها مَاءَ النَّبُـوةِ لَيْسَ فَيْـــهِ مَزْاجُ
مَـــلْكٌ على أَمَوالِهِ لِنوالِهِ سَطْوٌ يَكَـــونُ لَهْا بهِ إزْعَـــاجُ
خَيَّرُ البَـرِيْةِ للبَرِيَة من بـهِ وَضْحَ الهُدَى للنَّاس وَالمَنْهَاجُ

يصف الخليفة بإصالة النسب والحسب. قد شرب من ماء النبوة في مكة المكرمة. الأصل ليس قبلياً بل نبوياً أيضاً. لا شائبة فيه، ثم يعطيه صفة (ملك) الصفة التي شاعت بعد معاوية بن أبي سفيان في نعت الخلفاء لكنه ملك على الأموال التي يسيطر عليها لنواله، ثم يشير للخليفة بأنه (خير البرية) الذي وضح لها الرشاد، والمنهاج قد غلب على الكثير من الشعراء مزج الصفات الذاتية بالصفات المستقاة من الدين؛ ليكون الخليفة

صاحب شرعية لا جدال فيها. يتفرد بصفاته التي تنسجم مع ما يريده الدين من حاكمه. يقول أبو الشبل البرجمي (ت ٢٣٥هـ) مادحاً الخليفة المتوكل[٦٢]:

أَقْبِلِـــــي فالخَيْرُ مُقْبِلْ واتْرُكِي قَـوْلَ المُعَلِّلِ
وَثِقِيْ بالنُّجْحِ إذا أَبَـــْ ـصَرْتِ وَجْهَ المُتَوَكِّلِ
مَلِكٌ يُنْصِـــــفُ ياظَا لِمَتِي فِيْـــكِ وَيَعْـدِلْ
فَهُوَ الغَـــايَةُ والمَـأْ مُوْلُ يَرْجُوْهُ المُؤَمِّـلْ

الخير مقبل لا علة لمعلل، ووجه المتوكل الحل لابد من الثقة بالنجاح، والفوز إذا أقبل، و(ملك) عنده الإنصاف، والعدل. الغاية، والأمل للمؤمل في كل أرض حل!!!

الحسين بن الضحاك(ت٢٥٠هـ) مادحاً الخليفة المنتصر يقول[٦٣] :

تَجَدْدَتْ الدَّنْـــــــيَا بِمُلْكِ مُحَمَّدٍ فَأَهْلاً وَسَهْلاً بالزَّمَانِ المُجَدْدِ
هي الدَّولَةُ الغَـــرْاءُ راحَتْ وبَكْرَتْ مُشْهَّرَةً بالرَّشْدِ فـي كُلِّ مَشْهَدِ
لَعَمْرِي لقد شَدَّتْ عُرَى الدِّينِ بَيْعَةٌ أَعَزَّ بها الرَّحَـــمْنُ كُلَّ مُوحِّدِ
هَنْتَكَ أَمَيْرَ المَؤْمْنِيـــــنَ خَلافةٌ جَمْعَتَ بها أَهَـــواءَ أَمْةِ أَحْمَدِ

الدنيا تجددت، وتغيرت بحكم الخليفة الجديد المنتصر (محمد)، ويرحب به بالضيف الكوني الزماني، ودولته الغراء الراشدة تماهياً مع الخلافة الراشدة (مشهرة بالرشد في كل مشهد)، وبيعته شدت، وقوت الدين بيعة شهدها الله، ورضي بها الناس الموحدين. الخليفة لم يأخذ الخلافة من أبيه المتوكل، ويقتله بل هي القادمة المهنئة التي جمعت الأمة، وبددت الأهواء، فيقول الجاحظ: ((لا نعلم أحداً بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أفضل من الخلفاء ولا أحق بالثناء، والكرامة، والرفعة، والفضيلة وإنما غاية الناس، ومنتهى شرف المتشرف أن يخدمهم، ويتصل بهم فكل علم لا يرفعونه متضع، وكل حكمة لا ينبهونها خاملة، وكل سوق لا تنفق عندهم كاسدة))[٦٤].هذا الذي أجمله الجاحظ وقدره للسلطة فهي موئل الصفات الحميدة. غاية الناس. منتهى الشرف الذي يحصل عليه خادمهم. كل علم لا يقدرونه ضائع. كل حكمة لا يحترمونها واهية.لا تصمد لحكم الزمن.سوق السلطة هو الرائج الذي تعنوا له النفوس، وترنوا له العيون، وتزهو به القلوب، وتشد له الرحال، وتزدحم المواكب، وتتطلع المشاعر؛ لتسكب برحيق مبالغ في عطره وجودة صنعه.

نتائج البحث

١- لقد مثل القبح الثقافي صورة مقلوبة للهرم الجمالي الشعري فلم يكن قبيحاً من ناحية الشكل الفني لكنه كان قبيحاً في مضامين الشعر التي ابتعدت عن النظرة المتوازنة للحياة والأشياء فلهج الشعراء في استخدام القبح

الثقافي آلية مضادة للقمع الذي تعرضوا له وعانوا من آثاره فرموا بأنفسهم في حمأة المجون والشذوذ رداً على محرمات السلطة وبالغوا فيها أشد المبالغة وأفرطوا في الانغماس في الشهوات.

٢- نالوا من قيم الاعتزاز بالمرأة والمساواة بين الناس بطريقة الإسقاط النفسية التي تنقل القمع الداخلي الذي تفرضه السلطة ليتعرض للشرائح الضعيفة من المجتمع وأسرفوا في المديح حتى تجاوزوا مستويات العقل والمنطق مما يعني إن شعرهم جانب الصدق والتزم القبح الصارخ في إضفات الصفات الخارقة للمدوحين مما شكل ظاهرة واضحة في الشعر العربي.

٣-يمكن القول باستخدام القبح الثقافي رداً على القمع الذي مارسته السلطة بمختلف تجلياتها على ما وصفته بالانحرافات الأجتماعية والسلوكية.

٤- شارك الشعراء بمختلف درجاتهم في الولوغ بهذا القبح الثقافي فلم يسلم منه شعراء المتن والمقربون من السلطة الذين أضمروا فيه تمردهم عليها.

الهوامش والتخريجات

(١) لسان العرب الجزء الحادي عشر ص٨ مادة قبح

(٢) معجم الرائد، جبران مسعود، ص٦١٨.

(٣) كتاب العين، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة ١٧٠هـ، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد الجزء الثالث، ص٣٥٢.

(٤) ينظر: المعجم الأدبي، تأليف جبور عبد النور، ص ٢٠٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠٧.

(٦) ينظر: دليل الناقد الأدبي، تأليف د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ص ٢٠٣.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٩) لسان العرب، الجزء الثاني، ص١١١مادة ثقف.

(١٠) معجم الصحاح، ص ١٤١ مادة ثقف.

(١١) المثقف اللا منتمي، د. محسن محمد حسين، ص ٩.

(١٢) النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية، عبد الله الغذامي، ص ١٥٣.

(١٣) ديوان أبي نواس، ص ٥١.

(١٤) القبيح الجميل في خمريات أبي نواس، لمياء تقتق بن يحيى، حوليات الجامعة التونسية، ، ص ٢١٩.

(١٥) ديوان أبي نواس، ص ٥٦.

(١٦) شعر محمد بن يسير الرياشي، جمع وتحقيق وتقديم: الأستاذ الدكتور محمد جبار المعيبد والدكتور مزهر السوداني، ص ٩٨.

(١٧) الخمرة وظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشراب في المجتمع العربي الإسلامي، د. سليمان حريتاني،ص ٩٢.

(١٨) الأغاني الأصفهاني، الجزء الثامن عشر، ص ١٥٩.

(١٩) ينظر: الخمر والنبيذ في الإسلام، علي المقري، ص ١٠٥.

(٢٠) شعر عبد الصمد بن المعذل، ص٨١. زكرتي: زكرة: وعاء من أدم زق يحمل فيه شراب أو خل ينظر: لسان العرب، ج٤، ص٣٧٧.

(٢١) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، الدكتور يوسف حسين بكار، ص ١٨٣.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٩٥. بدادان: البداد بطانة تُحشى وتُجعل تحت القتب وقاية للبعير ينظر: لسان العرب، ج١، ص ٦٩.

(٢٣) ديوان أبي نواس، ص ٦٦٨.

(٢٤) جماليات القبح في النص المسرحي، عمر محمد نقرش مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية الأردنية،ص ٣٦٤.

(٢٥) ينظر: الزنا والشذوذ في التاريخ العربي، الخطيب العدناني، بيروت، ص ١٠٨.

(٢٦) شعراء مغمورون في العصر ا لعباسي الأول، نازك سابا ياردص ٢٤٧. كُميت: لون ليس بالأشقر ولا أدهم والكميت من أسماء الخمر فيها حمرة وسواد ينظر: لسان العرب، ج٢، ص ٨١.

(٢٧) ديوان محمد بن حازم الباهلي، ص ٢١٣.

(٢٨) شعر أبي الشبل البرجمي ص ١٢٦.

(٢٩) ينظر: جماليات القبح في رواية عزيز والعذراء، عايدة خلدون، ص١٦٢.

(٣٠) ينظر: القبح في الشعر الجاهلي المرأة أنموذجاً، د. أشرف أمين جاد أبو زيد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص٤١١.

(٣١) ينظر: جمالية القبح في الشعر العربي القديم، هجاء ابن الرومي أنموذجاً، الدكتور فؤاد فياض كايد شتيات مجلة جامعة الحسين بن طلال،ص ٨٨.

(٣٢) ينظر: المعجم الفلسفي إصدار مجمع اللغة العربية ص١٣.

(٣٣) ديوان شعربشار بن برد، ص١٥٠.

(٣٤) ينظر: الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، سعيد توفيق،ص ٤٥٣.

(٣٥) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، ص ٢٤.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣٧) ينظر: البنية الجمالية في الفكر العربي – الإسلامي، الدكتور سعد الدين كليب، ص ١٩٤.

(٣٨) ديوان الحسين بن الضحاك، ص ١٠٦. ينظر: الأغاني، الأصفهاني، الجزء السابع، ص١٦٩– ١٧٠.

(٣٩) ديوان الحسين بن الضحاك، ص ١٨٠. عكن: الأطواء في البطن من السمن وجارية عكناء ومعكنة ذات عكن ينظر: لسان العرب، ج١٠، ص ٢٤٦.

(٤٠) ينظر ديوان الحسين بن الضحاك، ص١٧٢.

(٤١) ديوان أبي الشمقمق، ص٧٦.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٤٣) شعراء عباسيون، الدكتور يونس أحمد السامرائي، ص ٦١.

*يزيد المهلبي: يزيد بن محمد بن المهلب بن أبي صفرة أبو خالد المعروف بالمهلبي شاعر محسن راجز من الندماء الرواة من أهل البصرة أشتهر ومات ببغداد وكان فيه اعتزاز وترفع توفي ٢٥٩هـ. ينظر: الأعلام، ج٨، ص ١٨٧.

(٤٤) شعراء عباسيون، الدكتور يونس أحمد السامرائي، ص ٢٥٩- ٢٦٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

(٤٦) شعر عبد الصمد بن المعذل، حققه وقدمه زهير غازي زاهد، ص ١٩٣.

(٤٧) النقد الثقافي الغدامي، ص ١٤٩.

(٤٨) ديوان شعر بشار بن برد، ص٢٥- ٢٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٥٠) ديوان سلم الخاسر، ص٢٢.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٥٣) النقد الثقافي عبد الله الغذامي، ص ٢١٨.

(٥٤) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، ص٢٠١.

(٥٥) شعراء عباسيون، الدكتور يونس أحمد السامرائي، ص ٦٩.

(٥٦) طبقات الشعراء المحدثين، لابن المعتز، ص١١١. *العماني الراجز هو محمد بن ذؤيب لم يكن عُمانياً وإنما غُلب عليه لصفرة وجهه ينظر: المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(٥٧) ينظر: صورة الممدوح في الشعر الأندلسي عهد الطوائف، الغوثي العربي الشريف ص ٢٩.

(٥٨) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، ص٧٩.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٦٠) ينظر: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح العباسي، الدكتور عبد الله بيرم، ص ١٨٥.

(٦١) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، لأبي بكر بن يحيى الصولي، ص ٩٤.

(٦٢) شعر أبو الشبل البرجمي، ص ١٢٧.

(٦٣) ديوان الحسين بن الضحاك، تحقيق: د جليل العطية، ص٦٤.

(٦٤) رسالة في مناقب خلفاء بني العباس، الجاحظ، دراسة وتحقيق: د.محمد محمود الدروبي ص ٦١

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري الدكتور يوسف حسين بكار دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب(الأوراق) لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفي سنة ٣٣٥هـ عني بنشره ج. هيورث . دن ، دار المسيرة الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣- الأعلام تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشرة بيروت – لبنان آيار مايو ٢٠٠٢م.

٤- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المتوفي ٣٥٦هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الدكتورإبراهيم السّعافين ، الأستاذ بكر عباس ، دار صادر الطبعة الثالثة بيروت – لبنان ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٥- البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي الدكتور سعد الدين كليب منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية د- ط دمشق ١٩٩٧م.

٦- التداولية والشعر قراءة في شعر المديح العباسي ، الدكتور عبد الله بيرم ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع الطبعة الأولى عمان – الأردن ٢٠١٤م.

٧- جماليات القبح في رواية عزيز والعذراء عايدة خلدون كتاب الأبحاث (الكتاب الأول) ، المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية د- ط شعبان ١٤٤٠هـ- ١١-١٣ أبريل ٢٠١٩م.

٨- الخمرة وظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشراب في المجتمع العربي الإسلامي د.سليمان حريتاني دار الحصاد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى دمشق – سوريا ١٩٩٦م.

٩- الخمرة والنبيذ في الإسلام علي المقري دار رياض الريس للكتب والنشر بيروت – لبنان د- ت.

١٠- الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية سعيد توفيق المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١١- دليل الناقد الأدبي تأليف د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي الطبعة الثالثة ، الدار البيضاء – المغرب ٢٠٠٢م.

١٢- ديوان أبي الشمقمق جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح محمد الصمد ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت – لبنان ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٣- ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي ، هيأة أبوظبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية الطبعة الأولى ٢٠١٠مز

١٤- ديوان الحسين بن الضحاك المتوفي سنة ٢٥٠هـ، تحقيق جليل العطية ، منشورات الجمل كولونيا- ألمانيا ٢٠٠٥م.
١٥- ديوان شعر بشار بن برد جمعه وحققه السيد محمد بدر الدين العلوي نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت – لبنان ١٩٨١م.
١٦- الزنا والشذوذ في التاريخ العربي ، الخطيب العدناني، مؤسسة الانتشار العربي الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٩م.
١٧- شعراء عباسيون الدكتور يونس أحمد السامرائي ، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية الطبعة الثانية بيروت – لبنان ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
١٨- شعر عبد الصمد بن المعذل حققه وقدم له زهير غازي زاهد مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
١٩- طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف مصر د- ت.
٢٠- العين تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة ١٧٠هـ ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت – لبنان ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢١- فن المديح وتطوره في الشعر العربي أحمد أبو حاقة ، دار الشرق الجديد ، الطبعة الأولى بيروت آذار(مارس) ١٩٦٢م.
٢٢- في مناقب خلفاء بني العباس ، عمرو بن بحر الجاحظ ، دراسة وتحقيق محمد محمود الدروبي حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية مجلس النشر العلمي الحولية(٢٢) الرسالة (١٨٧) جامعة الكويت ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٢٣- لسان العرب للإمام ابن منظور(٦٣٠- ٧١١هـ) أعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت- لبنان ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٢٤- المثقف اللامنتمي في التراث الإسلامي دراسة عن قمع الدولة للفكر الآخر،د. محسن محمد حسين ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
٢٥- المعجم الأدبي تأليف جبور عبد النور ، دار العلم للملايين الطبعة الثانية بيروت – لبنان كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤م.
٢٦- معجم الرائد تأليف جبران مسعود دار العلم للملايين الطبعة السابعة بيروت – لبنان آذار(مارس) ١٩٩٢م.
٢٧- معجم الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري أعتنى به خليل مأمون شيحا دار المعرفة الطبعة الرابعة بيروت – لبنان ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٢٨- المعجم الفلسفي إصدار مجمع اللغة العربية ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة – جمهورية مصر العربية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٩- النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية عبد الله الغذامي ،المركز الثقافي العربي الطبعة الثالثة الدار البيضاء – المملكة المغربية ٢٠٠٥م.

ثانياً:الرسائل والأطاريح

١- شعراء مغمورون في العصر العباسي الأول نازك سابا يارد رسالة ماجستير مرفوعة إلى الدائرة العربية في الجامعة الأميركية بيروت – لبنان تشرين الأول سنة ١٩٦٠م.

٢- صورة الممدوح في الشعر الأندلسي (عهد الطوائف) ، الغوثي العربي الشريف أشرف عليها الأستاذ الدكتور زبير درافي رسالة دكتوراه دولة مقدمة إلى جامعة أبي بكر بلقايد في تلمسان ١٤٢٨- ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٧- ٢٠٠٨م.

ثالثاً:الدوريات

١- جمالية القبح في الشعر العربي القديم هجاء ابن الرومي أنموذجاً الدكتور فؤاد فياض كايد شتيات مجلة جامعة الحسين بن طلال المجلد ٣ العدد ٢ السنة ٢٠١٧م.

٢- جماليات القبح في النص المسرحي عمر محمد نقرش مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية الجامعة الأردنية المجلد ٤٠ العدد ٢، ٢٠١٣م.

٣- ديوان محمد بن حازم الباهلي صنعه شاكر العاشور مجلة المورد المجلد السادس العدد الثاني ، دار الحرية للطباعة وزارة الإعلام الجمهورية العراقية ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٤- شعر أبي الشبل البرجمي جمع وتحقيق د. إبراهيم بن الحقيل مجلة آفاق الثقافة والتراث (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث) السنة السادسة والعشرون العدد ١٠١ الأمارات العربية المتحدة جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ- آذار (مارس) ٢٠١٨م.

٥- شعر محمد بن يسير الرياشي جمع وتحقيق الأستاذ محمد جبار المعيبد والدكتور مزهر السوداني مجلة الذخائر السنة الأولى العدد الثاني بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٦- القبح الجميل في خمريات أبي نواس ، لمياء تقتق بن يحيى حوليات الجامعة التونسية العدد (٤٣) ١ يناير ١٩٩٩م.

٧- القبح في الشعر الجاهلي المرأة أنموذجاً ، أشرف أمين جاد أبو زيد مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجزء الثالث العدد الرابع والعشرون جامعة جنوب الوادي ، قنا ،د- ت.